# المحاضرة السابعة

# نشأة الحديث الموضوعي وتطوره

**المبحث الأول: الحديث الموضوعي من عصر النبوة إلى عصر التدوين**

**المبحث الثاني: الحديث الموضوعي في عصر التدوين**

**المبحث الثالث: الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة**

لن نطيل الحديث عن الرافضين والمدافعين عن هذه المناهج المستجدة في التفسير والشرح الحديثي، ولكن نشير فقط لبعض الرافضين فمنهم مثلا الشريف حاتم بن عارف العوني الذي نشر في موقعه رأيه الخاص تحت عنوان:"شرح الحديث الموضوعي (مع التفسير الموضوعي) في ميزان المنهج العلمي لتكوين التصور الإسلامي والفقه في الدين"[1]، حيث قال:"الشرح الموضوعي للحديث : وهو نوع مبتدَعٌ في العصر الحديث ، جاء في مقابل نوع تفسيري مبتدع أيضًا ، وهو التفسير الموضوعي"[2]، ثم أضاف قائلا:" إن كان المقصود من هذا النوع من التفسير والشرح استلهامَ الهداية الربانية التي جاء بها الإسلام ، فهذا لا يصح مع دعاوى هذين النوعين المستحدثَين [...] فإنه لن يكفي لاستلهام الهداية التشريعية أن يُقتصر على مصدر واحدٍ من مصادر التشريع : كـ(الحديث) في الشرح الموضوعي للحديث ، أو كـ(القرآن) في التفسير الموضوعي"[3]، وهو محق إلى حد ما، لكن الذين يدافعون عن هذين المنهجين وضعوا أمام أعينهم هذه الاعتراضات وتواضعوا حينما قالوا نحن نحاول فقط استخراج التصور الإسلامي حول هذه القضايا من خلال الكتاب والسنة أو من خلال أحدهما لصعوبة استقصاء جميع النصوص القرآنية فما بالك جميع الأحاديث النبوية، هنا لجأ الناس إلى التخصص فكل واحد في مجاله فهناك المفسر والمحدث الفقيه واللغوي وكل واحد يريد تجلية جزء من الحقيقة لا كلها ومع التعاون والتآزر يمكن الوصول إلى بعض الفهوم الجديدة ولما لا.

لن نتحدث في مقدمة هذا البحث عن الاختلاف في قدم النشأة وحداثتها فهي قضية أثيرت مع التفسير الموضوعي ولم تثر مع الحديث الموضوعي لأنها تعتبر من القضايا التي تم الفصل فيها بالنظر إلى أن التفسير أو الحديث الموضوعي ما هما إلا منهجا من مناهج البحث ظهرت بوادره منذ عصر النبوة ثم في عصر التدوين وصولا إلى العصر الحاضر.

## المبحث الأول: الحديث الموضوعي من عصر النبوة إلى عصر التدوين

لقد أمكننا الحديث عن التأصيل للتفسير الموضوعي من عمل الرسول عليه السلام عندما فسر القرآن بالقرآن وعندما نقل لنا الحديث القدسي المتعلق بسورة الفاتحة الذي يعتبر تأصيلا للتفسير الموضوعي للسور القرآنية، فهل يمكننا التأصيل للحديث الموضوعي من خلال السنة النبوية وعمل الرسول عليه السلام؟ ذلك الذي لم يتناوله بالبحث إسحاق الزيان في دراسته التأصيلية التنظيرية للحديث الموضوعي، ورغم ذلك فإن المسألة لا تتعلق بالحديث الموضوعي بل هي في الأصل تتعلق بالمنهج الموضوعي بحد ذاته، لقد أثبتنا أن المنهج الموضوعي منهج قرآني خاصة عندما تعرضنا لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾[النحل/118]، فهذه الآية أحالت إلى ما نزل قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام/146]، فإحالة الآيات على بعضها البعض دليل على أن تفسير القرآن بالقرآن ليس منهجا نبويا من عمل الرسول عليه السلام فقط بل هو منهج قرآني من إشارات وتنبيهات القرآن بحد ذاته.

---

[1] ينظر موقع الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني http://www.dr-alawni.com/articles.php?show=242 يوم: 1441/5/14هـ.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

لقد تجلى المنهج الموضوعي في التفسير من خلال تفسير القرآن بالقرآن، ويتجلى المنهج الموضوعي في حديث الرسول عليه السلام من خلال ملاحظة الخطب النبوية التي جاءت متناسقة في أجزائها حيث نراها تلم بالموضوع الواحد وما خطبة حجة الوداع إلا دليل على المنهجية الموضعية في الحديث النبوي[1]، وبالإضافة إلى فإن حث الرسول عليه الصلاة والسلام لصحابته بالتخصص في مجالات معينة من السياسة والحكم و الحرب أو الفقه والدعوة لدليل آخر على البعد الموضوعي في عمل النبي عليه السلام، فقد نمى البعد التخصصي الموضوعي في الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا أبوبكر يشير الرسول إلى أنه أرحم الناس بالمسلمين، وعمر أشدهم في دين الله، وزيد بن ثابت أفرض الناس ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام، لقد كان عليه السلام يحثهم على التخصص في موضوعات ومجالات معينة[2].

كما تتجلى الموضوعية والتخصص في عمل النبي عليه الصلاة والسلام من خلال رسائله إلى عماله، ومن خلال معاهداته ورسائله إلى الملوك في عصره كما يذكر محمد محمود الشرمان[3]، وما وثيقة المدينة إلا دليلا على ذلك فقد كتبها النبي عليه الصلاة والسلام عند دخوله المدينة لبيان حقوق وواجبات كل مكونات الدولة الجديدة من فئات مختلفة من مسلمين وغيرهم من اتباع الأديان الأخرى.

ورغم كل هذه التبريرات السابقة لظهور المنهج الموضوعي في العهد النبوي فإن الدليل الأهم على المنهجية الموضوعي في أحاديث الرسول عليه السلام هو ملاحظة الصبغة الموضوعية في الأحاديث النبوية التي سهلت على العلماء جمعها بطريقة موضوعية فذة فلولا الترابط العضوي بين هذه الأحاديث لما استطاع العلماء المسلمون بعد قرن من ذلك من جمعها وتبويبها وتصنيفها تحت أبواب وكتب.

وأكثر من ذلك فقد تجد حديثا في باب الصلاة يدخل في باب من أبواب الأخلاق والزهد وهكذا دواليك بلا تعارض ولا تنافر بين هذه الأحاديث لذا كتب العلماء ومنهم الإمام الشافعي في علم "مختلف الحديث" لرد ما يوهم التعارض والتنافر، كما أن البعض من المحدثين وعلى رأسهم الإمام البخاري قام بتقطيع الأحاديث لأنها تصلح للاستشهاد بها في مجالات متنوعة وأبواب وكتب مختلفة بدون ملاحظة أي تعارض أو خلط أو نقص، فالموضوعية التي اتسمت بها السنة النبوية هي التي سهلت بعد ذلك عمل العلماء من محدثين وفقهاء وغيرهم.

يتجلى الجانب الموضوعي في حياة الصحابة رضوان الله عليهم من خلال تخصصهم في مجالات متنوعة فهذا زيد بن ثابت مختص في الفرائض ومعاذ في الحلال والحرام، وهكذا فالمنهجية التخصصية الموضوعية نمت في حياة الصحابة، وهي لم يتم تنميتها عمليا فقط بل هناك من لاحظ أن بعض الصحابة كان يجمع ويدون الحديث بطريقة موضوعية[4]، وهذا بخلاف ما هو معروف من أن الخلفاء خاصة عمر بن الخطاب قد رفض تدوين الحديث مخافة اختلاطه بالقرآن.

---

[1] ينظر: خالد محمد محمود الشرمان، **الحديث الموضوعي "دراسة تأصيلية تطبيقية"**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1: 1435هـ-2014م، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص32-33.

[3] المرجع نفسه، ص33-34.

[4] خالد محمد محمود الشرمان، **الحديث الموضوعي "دراسة تأصيلية تطبيقية"**، ص36-38.

وقبيل بداية عصر التدوين كان بعض التابعين يجمعون حديث الرسول عليه السلام بطريقة موضوعية خاصة منهم من تتلمذ على يد حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فقد جمع تلامذته الأحاديث المتعلقة بالتفسير كمجاهد بن جبر (ت:102هـ)، والضحاك بن مزاحم(ت:105هـ) وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:117هـ)[1].

وهناك من التابعين من جمع الأحاديث المتعلقة بالأحكام الفقهية، وهناك من دون الأحاديث المرتبطة بالسير والمغازي، وكل ذلك تم بطريقة موضوعية.

**المبحث الثاني: الحديث الموضوعي في عصر التدوين**

يبدأ عصر التدوين من بداية القرن الثاني للهجرة عندما أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بتدوين سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم تطور الأمر إلى تدوين العلوم المختلفة من لغة ونحو وفقه وتفسير وغيرها وينتهي هذا العصر في منتصف القرن الرابع الهجري ولذلك لظهور التقليد وغلق باب الاجتهاد[2].

وهنا نؤكد مرة أخرى على أن المنهج الموضوعي كان من صنيع أهل الحديث حيث جمعوا حديث الرسول عليه السلام بطريقة موضوعية ثم تلاهم الفقهاء الذين قسموا مسائل الفقه بطريقة موضوعية كذلك، هذا الأمر سماه إسحاق الزيان بالتقسيم الموضوعي ورغم ذلك فهو البذرة الأولى للتفسير الموضوعي ثم للحديث الموضوعي خاصة مع ظهور ما يسمى بقصص الأنبياء الذي لا يمكن عده تقسيما موضوعيا بل هو دراسة وتتبع وتحليل وتركيب لأحداث دعوات الأنبياء عليهم السلام، فهو من صميم المنهجية الموضوعية.

نعم لقد جمع التابعون حديث الرسول عليه السلام وقسموه بطريقة موضوعية، كما أن تابعي التابعين قاموا كذلك بتدوين السنة النبوية وتبويبها وتقسيمها بطريقة موضوعية، وهذا دليل على حضور المنهجية الموضوعية عندهم، وهذه المنهجية لم تظهر في المؤلفات المتعلقة بالحديث والفقه فقط بل ظهرت كذلك في كتب السير والمغازي كما يذكر محمد الشرمان[3].

يعد القرنان الثالث والرابع الهجريين قرني الإبداع بالنظر إلى أن القرن الثاني هو قرن البداية والتأسيس للعلوم، والأمر ذاته مع المنهج الموضوعي في الدراسات الحديثية، فقد ظهرت المصنفات الموضوعية في أبواب الإيمان فهذا أحمد بن حنبل (ت241هـ) يؤلف كتابا حول الإيمان، وللبخاري (ت256هـ) كتاب حول خلق أفعال العباد ولأبي داوود السجستاني (ت257هـ)كتاب حول البعث القدر وغيرها من المؤلفات والكتب[4]. كما ظهرت في هذا العصر مؤلفات في أبواب العبادات وفي الفضائل والترغيب والترهيب، ومصنفات في الطب النبوي والفتن والأخلاق وكلها تعتمد التقسيم الموضوعي إن لم نقل المنهجية الموضوعية[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص39-40.

[2] ينظر:عمر سليمان الأشقر، **تاريخ الفقه الإسلامي**، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، ط:1990م، ص86.

[3] محمد محود الشرمان، مرجع سابق، 39-47.

[4] المرجع نفسه، ص52-55.

[5] المرجع نفسه، ص52-62.

يمكننا أن نسجل لهذا العصر تقدمه وتأسيسه للمنهج الموضوعي في دراسته للسنة النبوية فقد قدموا دراسات قاموا من خلالها بتبويب الأحاديث ودراستها والاستدلال بها على ما يرونه من آراء عقدية أو فقهية وأخلاقية وسياسية، كما حاولوا معالجة المشاكل التي تواجه عصرهم من خلال تتبع أحاديث الرسول عليه السلام والنظر والتفكر في معانيها ومقاصدها[1].

يحتفي محمد الشرمان هنا بأعمال الحافظ ابن أبي الدنيا حيث يرى أن منهجيته في الجمع والتبويب الموضوعي للأحاديث ولأقوال الصحابة والتابعين تنم عن حس موضوعي متقدم رغم أنه لا يعتني بالشرح والنقد والتقييم، ثم يقارن بينه وبين أعمال البيهقي الذي تتسم كتبه باستيعاب الموضوعات ودراستها من جميع جوانبها مع تكرار الأحاديث لأغراض فقهية أو إسنادية أو تربوية وتقديم النص على غيره من التأويلات والاجتهادات، ومن كتبه السنن الكبرى، والأسماء والصفات، والبعث والنشور، ودلائل النبوة وغيرها[2].

بعد هذا العصر ظهر عصر التقليد والجمود وذلك بعد انقسام الخلافة العباسية إلى دويلات تتحارب بعضها بعضا، ومع ظهور الحروب الصليبية، ثم مجيء المغول الذين حطموا دار الخلافة في بغداد، ورغم تلك الظروف إلا أن الأمة الإسلامية لم تعدم من العلماء الأفذاذ الذين حاولوا التجديد وتقديم دراسات تتوافق مع متطلبات عصرهم الذي كان يختلف أشد الاختلاف عما سبقه من العصور.

لقد ظهر في هذا العصر ما يسمى بالجمع الموضوعي من مصنفات سابقة وذلك بتجريد الأحاديث من أسانيدها على أساس أن المصادر التي تم أخذت منها الأحاديث متوفرة بين أيدي الناس، ومن الكتب التي ظهرت في ذلك العصر كتب "الترغيب والترهيب"[3] للمنذري (581-656هـ)و"رياض الصالحين"[4] للنووي (631-676هـ)[5].

وفي هذا العصر عصر التقليد والجمود ظهرت بعض الجهود العلمية الفذة والتي من بينها كتب أحاديث الأحكام التي جمعت الأحاديث التي اشتملت على الأحكام الشرعية دون غيرها، وقد تم جمع هذه الأحاديث بطريقة موضوعية، ومن أبرز هذه الكتب "عمدة الأحكام"[6] لعبد الغني المقدسي (ت:600هـ)، و"الإمام في معرفة أحاديث الأحكام"[7] لابن دقيق العيد (ت:702هـ) وغيرها من المؤلفات، هذه الكتب جمعت أحاديث الأحكام بطريقة موضوعية تم شرحها في مؤلفات أخرى جمعت في شرحها بين اللغة والفقه والأصول وغيرها من العلوم والفنون بطريقة علمية تعليمية بسيطة وممتعة تجعل الطالب يربط بين المعارف النظرية الجانب التطبيقي لهذه المعارف النظرية.

---

[1] المرجع نفسه، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص63-65.

[3] المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب**، ت: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعرف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1424هـ.

[4] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، **رياض الصالحين**، ت: ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1: 1428هـ-2007م.

[5] الزيان، المرجع السابق، ص222-223.

[6] عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجماعيلي، **العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام**، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1406هـ-1986م.

[7] ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب، **الإمام في معرفة أحاديث الأحكام**، ت: سعد بن عبد الله آل حميد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1419هـ.

وهنا نذكر بكتب الشرح الحديثي التي تعتمد المنهج التحليلي في الشرح، فهذه الجهود في الشرح الحديثي هي المستند الذي قامت عليه بعد ذلك جهود الشرح الموضوعي للأحاديث النبوية فلا فصل بين المنهجين التحليلي والموضوعي فكلاهما يكمل الآخر.

**المبحث الثالث: الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة**

لابد لنا عند الحديث عن المنهج الموضوعي من الإشارة إلى أمرين هامين وهما ظهور الفهارس الموضوعية في هذا العصر، ثم ظهور الدراسات التطبيقية للمنهج الموضوعي في الحديث النبوي، وأخيرا التنظير للحديث الموضوعي.

**أولا: الفهرسة الموضوعية للحديث النبوي**

تحدثنا في التفسير الموضوعي عن وضع الفهارس التفصيلية للآيات القرآنية ويقابله بالنسبة للحديث الموضوعي ما يسمى بالفهرسة الموضوعية للحديث النبوي، والأمر يختلف بينهما في أن الفهرسة هنا ستجد ما يسمى بالتقسيم الموضوعي للحديث النبوي قد سبق وقدم قاعدة أولية تساعد أيما مساعدة في الفهرسة الموضوعية وتسهل عمل المفهرسين بعد ذلك.

يذكر الزيان إلى أن الترتيب الموضوعي للأحاديث النبوية بحسب ترتيب حروف المعجم قد تم في العصر الحاضر على يد بعض المستشرقين منهم العمل الذي قام به المستشرق الهولندي أرندجان فنسنك (ت:1939م) والذي سماه "مفتاح كنوز السنة"[1] والذي ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي إلى اللغة العربية كما قام بتصحيح أخطائه ومقابلة نصوصه مع الأصول من كتب الحديث.

ومن الكتب والمؤلفات الحديثة التي قامت على الفهرسة والتصنيف لمساعدة الباحثين وتسهيل عملهم بالإضافة إلى كنوز السنة للمستشرق فنسنك ما يلي[2]:

1/معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]

2/السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة[4]

3/ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر طبعت الكتاب كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي[5]

4/الدليل التصنيفي تحت إشراف همام عبد الرحيم سعيد[6]

5/دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة[7]

---

[1] ا.ى. فنسنك، **مفتاح كنوز السنة**، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ادارة ترجمان السنة، مطبعة معارف لاهور، ط:1398هـ-1987م.

[2] ينظر: خالد محمود الشرمان، المرجع السابق، ص110-120.

[3] صلاح الدين المنجد، **معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1: 1402هـ-1982م.

[4] **السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة**، مؤسسة آل البيت والمعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن، عمان، ط: 1989م.

[5] **الحديث الشريف وتحديات العصر** ندوة علمية ثانية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط:1426هـ-2005م.

[6] همام عبد الرحيم سعيد، **الدليل التصنيفي**، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتب الأردن، عمان، ط:1414هـ-1994م.

[7] محيي الدين عطية وآخرون، **دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة**، دار ابن حزم، بيروت، ط1: 1416هـ-1995م.

6/المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف[1]
7/التعريف بما أفرد من الأحاديث بالتصنيف[2]
8/موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة، وهدي الخلفاء الراشدين[3]
9/ الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام[4]
10/دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية[5]
11/التصنيف في السنة وعلومها لخلدون الأحدب[6]

ومن أبرز الأشكال المساعدة على الفهرسة الموضوعية للحديث النبوي حوسبة الحديث النبوي في موسوعات الكترونية[7] والتي تسهل الأحاديث المتعلقة بموضوع معين، ومن هذه الموسوعات موسوعة المكتبة الألفية للسنة النبوية في إصدارها 1.5 والتي أخرجها مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي بالأردن سنة 1419هـ-1997م، والموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه، في إصداره الأول من إنجاز نفس المركز سنة 1418هـ-1997م، وأخيرا الموسوعة الألفية للسنة النبوية من إصدار المركز نفسه كذلك سنة 1420هـ-1999م[8].

يذكر خالد الشرمان الجهود المبذولة في فهرسة السنة النبوية باستخدام البرامج الحاسوبية ويشيد بجهود بعض المراكز العلمية المختصة منها مثلا:

مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي في عمان بالأردن والذي تأسس سنة 1413هـ/ 1993م وله 15 فرعا في العالم، وقد أنتج حوالي 60 برنامجا في شتى العلوم، والعناوين التي خدمتها هذه البرامج تربو على 2000 عنوان وتضم حوالي 5000 مجلد، ومن إنجازات هذا المركز بالنسبة للسنة النبوية ما يلي:

1/الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه
2/ موسوعة المكتبة الألفية للسنة النبوية
3/موسوعة التخريج الكبرى والأطراف الشاملة
4/ موسوعة الأحاديث الصحيحة
5/ موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمعللة والغرائب
6/مكتبة الأجزاء الحديثية

---

[1] محمد خير رمضان يوس، **المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف**، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1423هـ-2003م.

[2] يوسف بن محمد بن إبراهيم العتيق، **التعريف بما أفرد من الأحاديث بالتصنيف**، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1: 1418هـ-1997م.

[3] خديجة النبراوي وآخرون، **موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة، وهدي الخلفاء الراشدين**، دار السلام، القاهرة، ط1: 1424هـ-2004م.

[4] محمد عبد الرزاق أسود، **الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر وبلاد الشام**، دار الكلم الطيب، دمشق، سورية، ط1: 1429هـ-2008م.

[5] عماد الدين خليل، حسن مظفر الرزو، **دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية**، دار الرازي، عمان، الأردن، ط1: 1424هـ-2004م.

[6] خلدون الأحدب، التصنيف في السنة وعلومها، مؤسسة الريان، بيروت، ط1: 1427هـ-2006م.

[7] الزيان، المرجع السابق، ص224.

[8] ينظر: **موقع دليل السنة النبوية** حيث يمكن تحميل هذه البرامج:
https://www.guidetosunnah.com/ar/websites/show/101
https://www.guidetosunnah.com/ar/websites/show/102

7/ مكتبة السيرة النبوية[1]، وغيرها من الموسوعات والمكتبات.

كما أن من المراكز البحثية التي ساهمت في خدمة السنة النبوية فهرسة وتقسيما شركة صخر لبرامج الحاسب في أحد فروع شركة العالمية للإلكترونيات والتي تأسست سنة 1982م، ثم أنشأت شركة صخر سنة 1985م مركز التراث الإسلامي والتي استقرت على اسم شركة حرف لتقنية المعلومات حيث قامت بوضع المصادر الإسلامية الكبرى على وسائل الكترونية، وأنجزت الموسوعات التالية:

1/موسوعة الحديث الشريف

2/برنامج صفوة الأحاديث

3/موسوعة السيرة النبوية

4/ البيان فيما اتفق عليه الشيخان[2].

وعند ولوج موقع حرف سنجد أن هذه الشركة قد تحولت إلى منصة تعليم عن بعد وترجمة وإنتاج للبرمجيات والتطبيقات العربية والإسلامية والمواقع الإلكترونية والنشر الالكتروني للكتب[3].

فمثل هذه الجهود تساهم في تسريع وتسهيل عملية جمع واستقصاء الأحاديث المتعلقة بأي موضوع نعمل على دراسته من خلال السنة النبوية.

**ثانيا: الدراسات التطبيقية لمنهج الحديث الموضوعي**

كما حدث مع التفسير الموضوعي الذي بدأ في هذه المرحلة من خلال الفهرسة التفصيلية ثم الموضوعية للآيات القرآنية فإن الحديث الموضوعي بدأ بالفهرسة الموضوعية للأحاديث النبوية ثم جاءت مرحلة التطبيق أي تطبيق المنهج الموضوعي في دراسة الأحاديث النبوية.

تظهر هذه المرحلة الجزئية عمليا من خلال الدراسات الأكاديمية التي شجعت عليها الجامعات والكليات الشرعية سواء في الأزهر الشريف أو في غيره من الجامعات الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية، كما تظهر هذه المرحلة من خلال جهود بعض الملتقيات والندوات العلمية الخاصة بالسنة النبوية، منها مثلا ندوة "السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة" والتي عقدها المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة1991م، وكذا ندوة الحديث الشريف وتحديات العصر، و"مؤتمر السنة النبوية في الدراسات المعاصرة" الذي عقدته جامعة اليرموك بالأردن[4]، فمعظم دراسات مثل هذه الندوات والملتقيات هي دراسات تطبيقية للمنهج الموضوعي في الحديث النبوي.

من الدراسات التطبيقية لمنهج الحديث الموضوعي مثلا "الأحاديث الواردة في حقوق العمال ومسؤولياتهم" عام 1989م، و"روايات الزينة" سنة 1990م، و"لأحاديث في أحكام النصارى والنصرانية" سنة1990م، و"أحاديث التصوير" سنة 1991م، و"الأحاديث الواردة في حماية البيئة الطبيعية وتطويرها" سنة1993م[5]، وهذه الدراسات كتبت وبحثت في الجامعات الأردنية وهي تبرز

[1] ينظر: خالد محمود الشرمان، مرجع السابق، ص 137-142.

[2] ينظر: خالد محمود الشرمان، مرجع السابق، ص 143-144، وكذلك موقع شركة حرف: www.harf.com.

[3] ينظر: موقع حرف www.harf.com يوم 2023/04/30.

[4] ينظر: خالد محمد الشرمان، مرجع سابق، ص 107-108.

[5] خالد محمد الشرمان، مرجع سابق، ص121.

مدى الاهتمام بالواقع وما يفرضه من قضايا معاصرة تحتاج إلى دراسة وبيان لتقديم التصور الإسلامي حولها من خلال القرآن الكريم أومن خلال السنة النبوية.

ومن الدراسات التطبيقية كذلك "مختلف الحديث بين المحدثين-مع دراسة تطبيقية على مرويات حجة رسول الله صبى الله عليه وسلم للطالب حسين حماد بجامعة القاهرة سنة1992م[1]، وكذا "عناية الكتاب والسنة بالبيئة-دراسة موضوعية" لأمل توفيق أبو عبدو، وهي رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بغزة سنة 1419هـ-1999م[2].

وهنا نسجل هذه الملاحظة البسيطة، وهي أن الدراسات التطبيقية للمنهج الموضوعي قد بدأت من خلال الكتاب والسنة، ثم بدأت في التخصص فمنها التي اقتصرت على الكتاب ونقصد بذلك التفسير الموضوعي، والأخرى اقتصرت على السنة النبوية بمعنى تلك المتعلقة بالحديث الموضوعي.

بعد سنة 2000م ظهرت دراسات شديدة الارتباط بقضايا الفكر الإنساني المعاصر والمشكلات التي تواجهها البشرية منها مثلا دراسة حول "الأحاديث الواردة في التغذية"، "الهدي النبوي في إدارة القوى البشرية"، و"الأحاديث الواردة في الحرب النفسية"، و"الهدي النبوي في نقد الذات ونقد الآخر"، و"حماية المستهلك في السنة النبوية"، و"لغة الجسم في السنة النبوية"[3] وغيرها من الدراسات.

وهكذا فالدراسات التطبيقية لمنهج الحديث الموضوعي بدأت مقترنة بالمنهج الموضوعي في التفسير ثم استقلت بعد ذلك وأصبحت مقتصرة على الحديث النبوي الشريف فقط، فالفرق واضح بين قولنا من خلال الكتاب والسنة وقولنا من خلال السنة النبوية فقط، هذا من جهة، ثم إن الحديث الموضوعي بدأ تطبيقا ثم وصل أخيرا إلى مرحلة التنظير مثله مثل التفسير الموضوعي من جهة أخرى.

**ثالثا: التنظير**

كما قلنا من قبل فالعلوم تتمايز عن بعضها بعدة أمور منها المناهج التي تختلف من علم إلى آخر، وهذا يصلح على الحديث الموضوعي الذي استخدم المنهج الموضوعي في الشرح في مقابل المنهج التحليلي. ومع ذلك لابد من تسجيل الملاحظة نفسها وهي تأخر التنظير للمنهج وتخلفه عن التطبيق مثله مثل التفسير الموضوعي.

من أوائل من بدأ في التنظير للحديث الموضوعي رمضان إسحاق الزيان بدراسته التي عنونها بـ"الحديث الموضوعي دراسة نظرية" نشرها في مجلة الجامعة الإسلامية في غزة بفلسطين، وذلك سنة 2002م، وقد قسم دراسته إلى مقدمة وثلاثة مباحث خص الأول بتعريف الحديث الموضوعي، والثاني خصه بنشأة الحديث الموضوعي وتطوره، وتناول في الثالث مناهج دراسة الحديث الموضوعي، وختم دراسته بخاتمة جمعت بين النتائج والتوصيات.

جاءت هذه الدراسة الرائدة في واحدة وأربعين صفحة حاول فيها الزيان أن يعرف بمنهج الحديث الموضوعي وعمل على التأصيل له من خلال البحث في تاريخه وتطوره ثم وصل إلى بيان أنواعه وحددها بثلاثة أنواع، والنوع الأول منها هو منهج الدراسة الموضوعية التي تقوم على استقصاء

[1] الزيان، المرجع السابق، ص229.
[2] المرجع نفسه، ص229.
[3] خالد الشرمان، مرجع سابق، ص121-122.

ما في كتب السنة النبوية من أحاديث عن موضوع الدراسة، وهذه يمكن أن نطلق عليها الحديث الموضوعي المستقصي لجميع المصادر، ثم الدراسة الموضوعية التي تعتمد على جمع أحاديث في موضوع الدراسة من مصادر محددة من كتب السنة، وهذا النوع سنسميه الحديث الموضوعي المحدود المصادر، يبقى النوع الثالث والذي أطلق عليه اسم منهج الدراسة الموضوعية التي تعتمد على جمع روايات حديث واحد مع دراسة موضوعه، وهذا النوع لا يدخل في الحديث الموضوعي بل هو أقرب إلى الدراسة الروائية التحليلية للحديث من الدراسة الموضوعية، وهذا ما سيتبين لاحقا بفضل الله تعالى عند الحديث عن أنواع الحديث الموضوعي.

نشرت هذه الدراسة سنة 2000م، ولهذا فهي تعتبر من الدراسات الرائدة في هذا المجال، وهذا من مشكلات الفكر الإسلامي الغائب عن التجديد في مجال المناهج العلمية والتي أبع فيها الغرب أيما إبداع ما اضطرنا إلى استيراد مناهجه ومحاولة تطبيقها على النصوص والمصادر الإسلامية، وهذه ليست مجال بحثنا الآن.

بعد دراسة الزيان ظهر كتاب خالد محمد محمود الشرمان "الحديث الموضوعي-دراسة تأصيلية تطبيقية-" في طبعته الأولى سنة 2010م، ثم في طبعة أخرى سنة 1435هـ-2014م، وهذا الكتاب كان في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت في قسم أصول الدين تخصص الحديث الشريف وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك، وقد أشرف عليها محمد العمري عميد الكلية.

تعتبر هذه الدراسة بحثا مستفيضا ومستوعبا نظريا وتطبيقيا في الحديث الموضوعي جاءت في ثلاثة أبواب كان عنوان الباب الأول: جهود العلماء والباحثين في الحديث الموضوعي، قسمه إلى تمهيد وفصلين، جاء في التمهيد تعريف الحديث الموضوعي وأسباب ظهوره وأهميته، ثم التفريق بين الدراسة الموضوعية والتقسيم الموضوعي، وفي الفصل الأول تناول جهود المحدثين المتقدمين في الحديث الموضوعي، وفي الفصل الثاني تحدث عن جهود المعاصرين في الحديث الموضوعي، أما الباب الثاني والذي كان بعنوان "لوازم دراسة الحديث الموضوعي ومناهجه ومراحله" فقد قسمه إلى فصلين تناول في الفصل الأول لوازم دراسة الحديث الموضوعي تحدث فيه عن دور المحدث في فقه الحديث ثم عن ضوابط فهم السنة النبوية والعلوم اللازمة لدراسة الحديث موضوعيا، وفي الفصل الثاني تحدث عن مناهج دراسة الحديث الموضوعي ومراحله، أما الباب الثالث فقد قدم فيه نموذجا تطبيقيا للحديث الموضوعي تحت عنوان:"المنهج النبوي في تقويم الألفاظ والمفاهيم"، وقسمه إلى فصلين الفصل الأول بعنوان "أهمية ووظيفة الكلمة في الإسلام"، والفصل الثاني بعنوان "أهداف ووسائل وخصائص المنهج النبوي في التقويم".

ومن بين الدراسات التنظيرية مقال سعاد بيطاط والذي كان بعنوان:"الحديث الموضوعي منهج جديد في دراسة الأحاديث النبوية"[1]، والذي صدر في مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة في الجزائر سنة 2011م، هذا المقال قسمته الكاتبة إلى أربعة عناصر هي: 1/التعريف بالحديث الموضوعي لغة واصطلاحا، 2/أنواع الحديث الموضوعي، 3/خطوات منهج الحديث الموضوعي، 4/المصادر والمراجع الأولية.

[1] سعاد بيطاط، مرجع سابق.

ومن الدراسات التنظيرية والتطبيقية في آن واحد، والتي توالت بعد ذلك كتاب حمزة عبد الله المليباري والذي عنونه ب:"دراسات تطبيقية في الحديث الموضوعي"[1] أشار في مقدمته إلى مسائل تنظيرية خاصة تلك اللفتة التي جاءت في غلاف الكتاب حول شمولية النظر إشراقة نبوية مبكرة حيث نبه إلى أن غياب النظرة الشمولية للنصوص من قرآن وسنة هي التي كانت سببا لظهور البدع والانزلاقات والانحرافات في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ أن الاكتفاء بنص واحد والاستعجال في الفهم والتطبيق كان من أبرز المظاهر الخطيرة للبعد عن النظرة الشمولية للنصوص القرآنية والحديثية[2]، وهذا ما نبهت إليه السنة النبوية عملا وقولا عندما علمت الصحابة رضوان الله عليهم منهجية شمولية النظر في النصوص عند شرح الرسول عليه السلام للقرآن بالقرآن.

ثم توالت البحوث والدراسات التي تعنى بالتنظير لمنهج الحديث الموضوعي نذكر منها دراسة لفالح بن محمد الصغير التي كانت بعنوان:"الحديث الموضوعي دراسة نظرية تطبيقية"، ودراسة فالح محمد الصغير كانت مبرمجة لطلبة مرحلة الماجستير سنة 2015م، ونجد نسخة منها في موقع نور للكتب[3]، وقد ركز في دراسته على العناصر التالية: مفهوم الحديث الموضوعي، والفرق بينه وبين الحديث التحليلي، ثم أهمية الحديث الموضوعي وأهدافه، ونشأته، وأخيرا بعض الصور التطبيقية للحديث الموضوعي.

ومن البحوث التنظيرية كتاب الحديث الموضوعي المنهج والتأصيل والتمثيل للطيفة الراشد، والذي نشرته دار طيبة الخضراء في مكة المكرمة سنة1443هـ-2021م، لكننا للأسف لم نتحصل عليه كاملا مع إمكانية الاطلاع عليه جزئيا من خلال المكتبة الشاملة التي نجد في موقعها فهرس الكتاب، ومن خلا هذا الفهرس المفصل يمكن الاطلاع على جزئيات الدراسة صفحة بصفحة[4].

قسمت المؤلفة الكتاب إلى ثلاثة أقسام جاء في القسم الأول الحديث عن تعريف الحديث الموضوعي وأهميته ونشأته وتطوره، وعنونت القسم الثاني بالدراسة الموضوعية وطريقة البحث فيها، وفي القسم الثالث قدمت لنا نماذج من الدراسة الموضوعية مثل العبادة القلبية خطوات النجاح من خلال حديث "لا تزول قدما امريء حتى يسأل عن أربع...".

هذه نماذج من الأعمال التنظيرية للحديث الموضوعي بدأت بدراسة الزيان ثم توسعت حتى وصلت إلى مرحلة الجمع بين التنظير والتطبيق كما هو حال الدراسة الأخيرة للطيفة الراشد.

---

[1] حمزة عبد الله المليباري، مرجع سابق.

[2] المرجع نفسه، غلاف الكتاب.

[3] موقع نور للكتب : https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B6%D9%88%D8%B9%D9%8A-pdf يوم:2023/05/20 على الساعة:23.32

[4] لطيفة الراشد، الحديث الموضوعي المنهج والتأصيل والتمثيل، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط:1443هـ-2021م، من موقع: https://shamela.ws/book/893 يوم:2023/05/20 على الساعة:23.32.